مسالك القوافل ودورها في التواصل الثقافي بين طرفي الصحـــراء خـــلال القـــرن 19 (قراءة في رحلة الولاتي.) (*).

محمد المختار ولد السعد
قسم التاريخ

"...إن كل رحلة مكتوبة تعكس ثقافة وهدف واهتمام كاتبها، كما تعكس تطلعاته ونظراته(...) ومشاهداته وماهو قادر عليه من تركيب وتحليل وأخذ وعطاء في المجالات الحضارية والعلمية والثقافية زيادة على وعيه بظروف الزمان والمكان...".
عبد القادر زمامه:" الرحلة المغربية صلة علم وحضارة"مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بفاس عدد8 / 1986 ص: 9 .

شكلت مسالك القوافل عبر الصحراء جسور تلاقح حضاري عميق الأثر بين الشعوب الأفريقية شمال الصحراء وجنوبها، ونسجت بين هذين الجزأين عرى اقتصادية واجتماعية وثقافية وثيقة على مر الزمن.

وترسخت تلك الجسور الضاربة الجذور في القدم بفعل المشاركة الفعلية لسكان الصحراء الغربية في التجارة عبر الصحراء منذ الألف الأولى قبل الميلاد (1) لتعرف ، ابتداء من القرن7 الميلادي، نقلة نوعية بفضل دخول الإسلام إلى المنطقة وما أعطاه من دفع ايديولوجي واقتصادي لاختراق الصحراء وشق السبل عبرها.

فقد نشطت تيارات التبادل الحضاري عبر الصحراء بشكل لم يسبق له مثيل في تلك الفترة الممتدة من القرن 8 إلى القـرن 16 الميلاديين،وتعددت المحاور التجارية وعرفت فترات ازدهار وانحطاط تبعا للظروف الطبيعية والاقتصادية والسياسية والأمنية في المنطقة. ولم يكن دور القوافل السالكة لتلك المحاور مقصورا على نقل الثروات المادية بل حملت معها الرسالة المحمدية والثقافة العربية الإسلامية والتجارب الحضارية لشعوب ضفتي الصحراء في عملية أخذ وعطاء متجددة في الزمان والمكان.

ومن نافلة القول التعرض في هذه العجالة لبنية ودور المحاور الرئيسية الثلاثة الرابطة بين البلدان المغربية ومنطقة السودان الغربي في الفترتين الوسيطة والحديثة مادام اهتمامنا الآني ينصب على مسالك القوافل خلال القرن 19 في المناطق المتاخمة للصحراء بشمال غربي القارة، وبالذات على الدور الذي لعبته في تعزيز التواصل بين مايعرف اليوم ببلدان المغرب العربي شمال الصحراء وجنوبها - دون

(*) - قدم هذا البحث مساهمة في الملتقى الدولي حول مسالك القوافل عبر الصحراء المنظم من طرف مركز الدراسات التاريخية بالجزائر مابين 12 - 14 من نوفمبر 1991.

اليـوم ببلدان المغرب العربي شمال الصحراء وجنوبها ـ دون سواها ـ في العقـد الأخير من القرن 19 (2) في وقت فقدت فيه تلك السبل حيويتها الإقتصادية وجاذبيتها بالنسبة لسكان طرفي الصحراء بفعل عوامل داخلية وخارجية لاسبيل للخوض فيهاهنا.

وعليـه فنحاول التعرف على المسالك التي ترتادها القوافل عبر الصحراء في نهـاية القرن الماضي ومقاصد سالكيها والدور الثقافي الذي اضطلعوا به من خلال قراءة سريعة في رحلة الولاتي التي صدرت عام1990 بتخريج الأستـاذ محمـد حجي عن دار الغـرب الإسلامـي ببيروت ومعهد الـدراسات الإفريقية بالـرباط.

أولا : الرجـل ورحلتـــه :

نكتفي مـن تعريفنا بالرجل ورحلته بمـا يفـي بالغرض المنشود، وهو مايستـدعى منـا التركيز على الجانب المعرفي في حياة الرجل ومكانته الأجتمـاعية في محيطه الضيق قبل انطلاقـه في رحلتـه الطويلة إلى الديار المقدسة.

1) المؤلـف : هو محمد يحي بن محمد المختار بن الطالب عبد الله (الملقب ابو) بن احمد حاج الداودي ((3) نسبا، المالكي مذهبا، الأشعري اعتقادا، التجاني طريقة.
ولد بمدينةولاته (4) الصحراوية الواقعة في أقصى الشمال الشرقي الموريتاني عام 1259هـ//1843م وتوفي بها سنة 1330هـ//1912م.
وقـد ارتبط اسمه بتلك المدينة لشهـرتها التاريخية شمال الصحراء وجنـوبها كمحطـة من محطات القوافل عبر الصحـراء ومنارة علم ومعرفة قبل ان يبدأ مسار انحطـاطها في القرن 15م ويصيبها الوهن ويهجـرها العديد من سكانها مع نهاية القرن 18 (5).

ويتجلى بوضـوح مـدى التدهورالاقتصـادي والأمني الـذى أصاب المدينة فى الفترة المـدروسة مـن خلال مقارنة سريعة بين ملاحظات ابن بطوطة فى منتصف القرن 14م وما يقوله عنها الولاتي فى النصف الثانى من القرن 19.

فقـد تحدث ابن بطـوطة (6) عـن هذه المدينة بوصفها مـركز إشعاع ثقافي في المنطقـة وبوابة أسـاسية في العلاقات مع بلاد السودان بالنسبة للمسلك المرتكز شمالا على سجلماسة وجنوبا على ولاته مرورا بتغازة.

ونّوه بحضور الجاليتين المغربية والمصرية في هذه المدينة وغيرها من كبريات المـدن الخاضعة لمملكة مالى ، وهيمنة منسوبة ـ أساس ساكني ولاته وقتها ـ على التجارة الصحراوية سواء من حيث التحكـم في إنتاج الملح وتسـويقه أو خفـارة القوافل ودلالتهـا("التكشيـف") وتهيئـة ظروف الإقـامة لأصحـابها في ولاته.

وواضح من رواية ابن بطوطة أن تنوع الحضور البشري بالمدينة كان مرتبطا بازدهار الحركة التجارية بها وحسن ضيافة أهلها" وشعور الأمن في بلادهم، فلا يخاف المسافر ولا المقيم سارقا ولا غاصبا"(7).

ولم تكن صلة أهل ولاته بالتخوم الشمالية للصحراء مقصورة على القوافل التجارية بل كان لأهلها ركبهم السنوي إلى الحج. فقد قال ابن بطوطة (8) بهذا الشأن ، منوها بكرم أهل ولاته ، مانصه:" وأردت أن أسافر مع حجاج إيوالاتن ، ثم ظهر لي أن أتوجه لمشاهدة حضرة ملكهم، وكانت إقامتي بإيوالاتن نحو خمسين يوما، وأكرمني أهلها وأضافوني".

واهتم الرحالة المغربي انطباعاته عن ولاته قائلا:" وبلدة إيوالاتن شديدة الحر، وفيها يسير نخيلات يزرعون في ظلالها البطيخ، وماؤهم من آبار عندها. ولحم الضأن كثير بها، وثياب أهلها حسان مصرية. وأكثر السكان بها من غيرها وبلدانها الجمال الفائق ومن أعظم شأنا من الرجال (...)، وأما نساؤهم فلا يحتشمن عن الرجال ولا يحتجبن من مواطنتهن على الصلوات."(9).

غير أن ذلك الوضع سيتغير بفعل الأوضاع السياسية والبشرية في المنطقة وماانجر عنه من تحول في مسالك القوافل عبر الصحراء وتزحزحها نحو الشرق . فقد لاحظ ابن خلدون (10) - مثلا - في أخريات أيامه أن الطريق الغربي الممتد" من ناحية السوس إلى والاتن قد أهمل لمناصارت الأعراب من البادية السوسية يغيرون على سابلتها ويعترضون رفاقها، فتركوا تلك ونهجوا الطريق إلى بلد السودان من أعلى تمنطيت (اقليم توات)".

وقد صاحب هذا التزحزح لمسالك التجارة نحو الشرق تألق تنبكتو على حساب ولاته الذي وجد التعبير عنه على الصعيد الثقافي ، في هجرة العلماء من الثانية إلى الأولى ضمن عملية نزوح واسعة النطاق - على مايبدو - من المدن الشنقيطية الواقعة على المحور الغربي للتجارة عبر الصحراء وفي ذلك يقول السعدي (ص ص:20 - 21) "كان التسوق قبل في بلد بيرُ(ولاته) وسكن فيه الأخيار من العلماء والصالحين وذوي الأموال من كل قبيلة ومن كل بلاد: من أهل مصر ووجل وفزان وغدامس وتوات ودرعة وتغلالت وفاس وسوس وبيط إلى غير ذلك. ثم انتقل الجميع إلى تنبكت قليلا قليلا حتى أستكملوا فيه وزيادة مع جميع قبائل صنهاجة بأجناسها، فكانت عمارة تنبكت خراب بيرُ ...".

ويرى محمد بن مولود بن داداه (11) أن النهضة الحفصية، ابتداء من ابي العباس((1370 - 1390) قد أحظت قطاع تنبكتو، بينما أدى انحطاط المغرب المريني ووصول الهجرة المعقلية إلى الصحراء الغربية إلى اضطراب الطرق التجارية الغربية، فنجم عن ذلك انحطاط" الكصور" الصحراوية التي كانت حياتها مرتبطة بشكل وثيق بالتبادل التجاري: خراب تنيكي في نهاية القرن16 وإنشاء تكبه ، هجرة جزء من

سكان شنجيط وتأسيسهم تجكجة في1070هـ//1660م ، هجر جزئي لوادان في القرن 18 وولاته حيث تم إنشاء النعمة سنة 1808... كما كان لانهيار الممالك السودانية الكبرى (التكرور،غانه، مالى، الصونغاي) دوره على هذا الصعيد.

وقد بلغت مدينة ولاته - على مايبدو - قمة تدهورها في عهد الولاتي (12) الذي يصف تردي أوضاعها الإقتصادية والإجتماعية والأمنية، وصفا لايحتاج إلى تعليق، قائلا: "فتبين بهذا لكل من له أدنى معرفة بأهل ولاته أنهم بمعزل بعيد عن هذه الأوصاف التي اتفق الفقهاء على اشتراطها في الجماعة التي تقيم الجمعة لأنهم غير قادرين على الدفع عن أنفسهم وأموالهم ولاعلى نصب الأسواق ولا على إقامة أبهة الإسلام بهم من قديم الزمان لابد لهم من بدوي ذي قوة يلجأون إليه ويحتمون بحماه وهم الآن جعلهم الله في حماية احمد محمود بن لمحيميد(1852 - 1884) ولذلك يكونون في أقصى الخوف إذا رحل عنهم وخلى بينهم وبين أهل تكانت تكسر ديارهم ويؤخذ مافيها وهم ينظرون، ويجردون من ثيابهم وتسبى أرقاؤهم ولايد فعون عن هذا بمال ولاجاه ولاقوة، وإذا حاولوا الدفع بقوتهم فروا جميعا وقتلوا ثم أعطوا أكثر مما كان مطلوبا منهم(...) فهذا هو حال أهل ولاتة الذى يعرفه الخاص والعام والحاضر والبادى بالعيان والخبر المتواتر...".

لقد عاش صاحبنا يتيما في كنف والدته بتلك الواحة الصحراوية العتيقة وبها تلقى تعليمه في ظل الوضع المأساوي الآنف الذكر.

وظهرت عليه مبكرا ملاح الذكاء والنبوغ أثناء اشتراكه مع بعض زملائه في دراسة مختصر الشيخ خليل ((13). فتخلى عن الدراسة "النظامية" واعتاض عنها بالتجول بين علماء المدينة والاستماع إلى دروسهم المعمقة ونقاشاتهم مع نظرائهم. واستقطبه بشكل خاص الفقيه سيدى احمد بن محمد بوكفه الذي يصفه الولاتي" بأنه أعلم أهل ولاته في زمنه وأعدلهم "(14). فتلمذ عليه وأولاه الشيخ عناية خاصة.

واضطر الولاتي أثناء فترة تعلمه إلى العمل لإعالة والدته وأخيه الوحيد ، فاختار مهنة نسخ الكتب لتلاؤمهما مع مهمته التحصيلية. وقد عززت ذكاء الرجل وجده ومثابرته ذاكرة قوية ، فؤثر عنه قوله "إنه ماقرأ شيئا يريد حفظه إلا حفظه وماحفظ شيئا ونسيه قط"(15).

وهذه الظاهرة التي ستسعف صاحبنا أثناء رحلته ، تعتبر سمة مميزة لدى العلماء الشناقطة في القرون الماضية. ولعل حياة البداوة الظاعنة الطاغيةعلى نمط عيش هذا المجتمع أنذاك، ومحدودية انتشار الكتب وندرة الورق، قد عززت اعتماد الشناقطة الكبير على الذاكرة (16) والشيوع الزائد لظاهرة النظم لديهم، والتباهي بسرعة الحفظ (17).

ومـاإن بلغ الولاتي العشرين من العمـر حتى ولج باب التأليف في النحو والبيان قبل أن يهتم ، ابتداء من الخامسة والعشرين من عمره ، بالتأليف في ميادين الأصول والحديث والفقه وغيرها من علوم عصره حتى قيل (18) إن مؤلفاته بلغت110 مؤلف.ولاهتمامه بالفقه وكثرة تآليفه فيه لقب " بالفقيه الذي أصبح فيما بعد علما لـه" (19) في منطقـة الحوض ، واحتل الصدارة فيه في مجال الإفتـاء، ونصبه أهل لمحيميد ((20) قاضيا لهم.

ويقـول محقق ديوانه أنه كان قوي الشخصية جريئا" على النهي عن المنكـرات والتصدي لاصحابها (...) سريع الانفعال وذا مهارة فائقة في الجدل والحوار..."(21).

وكان لمزاج الرجل أثره على علاقاته مع علماء بلدته وعلى سلوكه المعـرفي أثناء رحلته. فقد دخل محمد يحي في نزاع حاد مـع علماء ولاته عنـد مـا نقض حكما لقاضيها أحمـد بن عبـد المـالك الداودي حتى ضاقوا به ذرعا وشكوه إلى أصحاب الشوكة في المنطقة.

وبلغ الصراع أوجه بين الطرفين عند ما أصدر الولاتي فتوى ببطلان صلاة الجمعة في ولاته بحجة " فقد اربعـة مـن شروط وجوب صحتها عند مـالك وأصحابه وهي: المصر والسـوق والسلطـان والجماعة التي تتقرى بهم قرية أي تستغني بهم وتأمن بدفعهم عنها..." (22).وآل به الأمر إلى مقاطعة الصلاة في مسجد ولاته بحجة احتكار إحدى المجموعات القبلية لإمامته حتى أصبحت وراثية.

ويبـدو أن تدهـور علاقـات الرجل بسراة الفقهـاء المتنفـذين في بلدته وتحـديهم لـه ، وتردى الأوضـاع الإقتصـادية والسياسـية والأمنية في العقد الاخير مـن القرن19 (23) بمنطقة الحوض عموما وبالمـدينة التي ارتبـط إسمه بها خصوصا، كانت من بين العوامل الموضوعيـة التي جعلتـه يقرر- رغم 2تواضـع حالتـه المادية - تأدية فريضة الحج والخروج من ذلك الجو الخانق في رحلة أطال فيها النجعة إلى الديار المقدسة.

2) الرحلـة: لم يخـرج الولاتي على التقليد المألوف في الرحلات الحجازية لـدى علماء المسلمين عموما وأسلافـه الشنـاقطة على وجه الخصوص من حيـث العناية بوصف المسالـك والظروف المـادية والبشرية لتنقلهـم مـن مكان إلى مكان وما استرعـى انتباههم من ممارسات اجتماعيـة والإهتمـام بالمراكز العلمية والـدينية والتعـرف على العلماء ومشايخ التربيـة الـروحية في المناطق المزارة والاستفـادة منهم وممارسة التدريس والتأليف والإفتاء وقرض الشعر وعقد المناظرات...

وكان الولاتي من بين الحجاج الشناقطة القلائل الذين دونوا أحداث رحلاتهم الحجازية وتركوا لنا آثارا تاريخية ثمينة(24).

انطلق الرحل من ولاته في 7 رجب 14/1311 يناير1894 لأداء فريضة الحج وعاد إليها بعد رحلة حافلة بالأخذ والعطاء دامت ست سنوات وخمسة أشهر، دون أحداثها المختلفة(ماعدا شهرين أمضاهما في طريق الإياب بين أروان وولاته) بإسلوب سردي ووفق تسلسل اكرونولوجي دقيق منذ خروجه من ولاته في رفقة من أولاد بلة (25) في 14 يناير 1894 إلى دخوله مدينة أروان في 6 من شوال 8/1317 يناير 1900 عائدا إلى مسقط رأسه.

وقد تناول في هذه الرحلة المعروفة بأسمه طرق سيره برا وبحرا ومحطات توقفه والمسافات الفاصلة بينها زمنيا ومدد إقامته في كل محطة وأسماء وطبيعة المجموعات والأفراد الذين التقى بهم وماكان له معهم من شأن ونوعية الضيافة التي حظي بها في حله وترحاله، وماقام به من نشاط علمي وديني أثناء توقفه في المراكز المزارة. وقد طغى هذا العنصر الأخير على الرحلة التي هي في الواقع تأليف موسوعي، يم عن سعة ثقافة الرجل العربيةالإسلامية، نالت فيه العقائد وعلم الكلام والفقه والتصوف الحظ الأوفر. ويكفي للتأكد من ذلك أن نعرف بأن رواية أحداث الرحلة نفسها لاتمثل سوى 14 % من النص المطبوع (45 صفحة) الذي حذفت منه أربعة نصوص عبارة عن مؤلفات صغيرة مستقلة بذاتها، في حين استحوذت الفتاوي والأنظام والمقطوعات الشعرية التي كتبت أثناء الرحلة على 86% منه(338 صفحة).

ومع ذلك فإن الرحلة تقدم معلومات تاريخية واقتصادية واجتماعية وثقافية ودينية هامة عن المناطق والحواضر العربية المزارة في المغرب والمشرق. فهي تلقي بعض الضوء على واقع اثنتين من أهم محطات القوافل الصحراوية التقليدية في نهاية القرن19 (تشيت ـ شنقيط) وأحياء البدو الظاعنين في الصحراء وانتماآتهم القبلية، والحركة العلمية والعمرانية في منطقة السوس الأقصى وأصحاب النفوذ فيها من أمثال أسرة أهل بيروك التكنية في اكليميم ، وآل الشيخ احمد بن موسى السملالي بتازروالت ، وانطباعاته عن بلاط السلطان المغربي عبد العزيز(1894 ـ 1905) وكبار رجال المخزن آنذاك ، وزعماء الطريقة التجانية في كل من الرباط ومراكش والصويرة.

وتناول المؤلف زاوية سيد ابراهيم الرياحي التجانية بتونس والحركة العلمية وكبار العلماء والمفتين في هذا البلد من أمثال الشيخ سالم أبوحاجب ومفتي باش حسين وعلال النيفر ، والحاج الحسن الازغلي وسيدي محمد الهادي بن سيدي زروق، وسيد محمد السنوسي بن عثمان، والشيخ سيدي محمد الطيب النيفر... وماكان له معهم من صلات علمية وما اتحفوه به من كتب وأموال. كما استعرض الولاتي النشاط العلمي والثقافي المتميز بالقاهرة والاسكندرية وازدهار حركة الطباعة والنشر وقتها بذلك البلد وماكان له من صلة بالأوساط العلمية في مصر وما اتحفوه به من كتب.

أما في الحجاز، الذي هو الهدف من الرحلة ، فقد استحوذت على اهتمام الرجل مناسك الحج والعمرة وزيارة الروضة الشريفة والبقيع وأحد وغيرها من مزارات المدينة.

وقد وظف الولاتي في هذه المواقف كلها ذاكرته القوية فتتبع في أقواله وأفعاله ماجاء في القرآن والسنة

وإجماع السلف الصالح مماجعل الأستاذ محمد حجي (26) يقول بأن هذا القسم من الرحلة حري بأن يطبع على حدة كدليل للحج السني"(27).
لكن مهمة صاحبنا لم تكن - على مايبدو من رحلته - مقصورة على تأدية فريضة الحج فقط ، وإنما كانت لديه مهام أخرى.
وإذا كانت تلك المهام تبدو لنا في الأساس مهام ثقافية ، فإنه يتعين علينا استنطاق النص لابراز مضامينه التاريخية الكاشفة عن بعض مظاهر التواصل الثقافي عبر الصحراء في نهاية القرن الماضي.

ثانيا : المضمون التاريخي للرحلة ومنزلة البعد الثقافي فيها :

إن أول مايسترعي انتباه قارئ رحلة الولاتي هو الغياب شبه التام للمعطيات الاقتصادية والانطباعات الاجتماعية والسياسية عن المناطق المزارة خلافا لرحلات الفترة الوسيطة بل وحتى لرحلات بعض معاصريه من الشناقطة من أمثال ابن اطوير الجنة ومحمد فال بن بابه (28).
فقد أقام الولاتي - مثلا- فترات طويلة نسبيا بكبريات "الموانئ " الصحراوية جنوبا وشمالا (تشيت - شنقيط - اكليميم - ايليغ - الصويره) ولم يورد أية ملاحظة عن مصادرها الاقتصادية أو حركتها التجارية الداخلية والخارجية في وقت كانت تسترعي فيه الانتباه لابفعل حركتها الداخلية فحسب وإنما كذلك بفعل ازدياد اهتمام المؤسسات التجارية الاوربية ، المتمركزة على السواحل، بالمنطقة عموما، وبمنطقة السوس خصوصا، وانعكاسات ذلك عليها اقتصاديا وسياسيا.

أونستغرب مثل هذا الموقف من رجل لم يألف التنقل والأسفار ولم تستهوه التجارة ومرابيحها(29) وعاش جل حياته بين الكتب يطالع ويستنسخ أو يؤلف ويفتي ويقضي؟ إنه لمن المنطقي أن يتجاهل الولاتي الحركة الاقتصادية وآلياتها التي تحكمها في تلك المدن مادامت لاتدخل في دائرة اهتماماته الماضية أو الآنية . فقد كانت مشاغل الرجل وهمومه معرفية في الاساس . وهذا ماسيتضح من استعراضنا للمعطيات الجغرافية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية للرحلة.

1 - المسالك والمسافات :

سلك الولاتي في ذهابه من مسقط رأسه إلى الصويره مسلكا مألوفا لدى القوافل منذ الفترة الوسيطة، وهو الطريق الأوسط من المحور الغربي المعروف "بالطريق اللمتوني" الذي هيمن على المبادلات عبر الصحراء في القرنين11و12 الميلاديين بفعل عوامل أهمها تفاعلات الثورة المرابطية ليتراجع لصالح المحور الاوسط الرابط بين النيجر وتلمسان عبر توات فيما بين ق13و16م، قبل أن يبدأ مسار انتعاشه (المحور الغربي) مع بداية القرن 17 ويظل صلة الوصل الأساسية عبر الصحراء بالنسبة لبلاد شنقيط حتى بداية القرن العشرين.

رسم توضيحي لرحلة الولاتي في جانبه الصحراوي

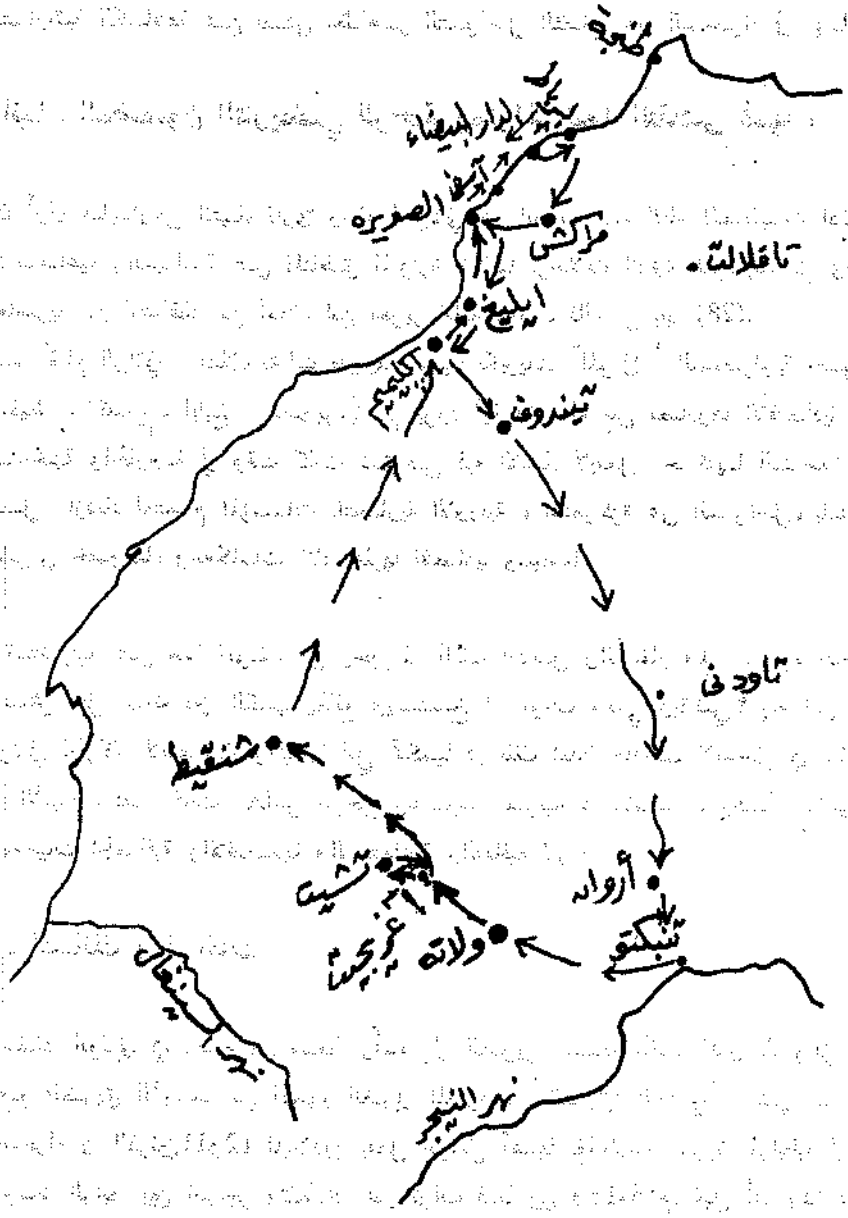

فقد انتقل من ولاته إلى آغريجيت ومنها إلى تشيت فآغريجيت وشنقيط التي توجه منها إلى وادنون عبر الفياني والمفاوز الخالية من العمران" (30) حتى وصل إلى اكليمم ، ومن هذه الاخيرة توجه إلى الغرب" (31) فمر بقرية تكانت، فايفران ، فمجاط، فايليغ، عاصمة تازروالت ، التي أصبحت "منذ حوالي 1850 المكان الرئيسي للمبادلات التجارية بين المنتجات الصحراوية ، ومنتجات السوس وتلك القادمة من أوروبا عبر ميناء الصويرة" (32). وقد ارتحل من ايليغ إلى الصويره لينهي الجزء الصحراوي من رحلته الذي استغرق سنة وعشرة أشهر بسبب المرض وطول الإقامة في بعض المراكز القروية المزارة ((33) و"لكثرة المقام في البوادي" (34). وهنا تكمن الصعوبة في تحديد المسافات الفاصلة بين تلك المحطات مادام النص لايسعفنا في معظم الأحيان بالتمييز بين فترات السير وفترات المقام. ومع ذلك تمكنا بصعوبة من تحديد المسافات بين معظم المحطات انطلاقا من النص نفسه.

فقد أستغرق السفر بين ولاته وآغريجيت 10 أيام، وبين شنقيط واكليمم28 يوما، ومن اكليمم إلى ايفران يوما ونصف اليوم، وبين ايفران وايليغ4 أيام ، ومن ايليغ إلى الصويره27 يوما.

وينبغي التنبيه إلى أن المسافة مابين ولاته واكليمم قد قطعت على الجمال، في حين كان التنقل من اكليمم إلى ايليغ بالبغال، ومن هذه الاخيرة إلى الصويره على الحمير على مايبدو(35).

وابتداء من الصويره ينتهي الجزء الصحراوي من رحلة الذهاب ، لتبدأ رحلة البحر ذات المسالك والمراكب المختلفة التي لم تثر الفضول العلمي لدى الصحراوي رغم عدم ألفته بها. وامتدت هذه الرحلة عبر مراسي وموانئ الصويره ، وآسفي، والدار البيضاء،والرباط، وطنجة، فالجزائر، وتونس، وبور سعيد، والسويس وجدة. وقد دامت هذه الرحلة حوالي15 يوما من السفر، حيث قضى 8 أيام بين اصويره والرباط منها أربع وعشرون ساعة فقط في السفر، ويوما بين الرباط وطنجة، وليلتين ويوما بينها والجزائر، ونفس المدة بين الجزائر وتونس . ولم يحدد الرحالة مدة الرحلة بين تونس وبور سعيد، في حين قضى ليلة بين هذا الأخير والسويس، وأربع ليال بين السويس وجدة حيث ستبدأ"رحلة " برية قصيرة إلى مكة والمدينة فينبع تستغرق ستة أشهر.

وتبدأ رحلة العودة بحرا من ينبع إلى جدة بواسطة قارب شراعي ("فلكا ذا أقلاع")، ليأتي دور الباخرة بين جدة والسويس. ومن السويس سيتوجه بالقطار (" بابور البر") إلى الاسكندرية ثم إلى القاهرة حيث اندهش الولاتي ـ هذه المرة ـ لسرعة القطار حين قال :"... فسار بنا ثلاث ساعات ونصف ساعة قطع فيها مسافة سبع مراحل للإبل، وهي المسافة التي بين إسكندرية ومصر (القاهرة)" (36).

وعاد الولاتي أدراجه إلى الاسكندرية التي سافر منها إلى ملطة ، فتونس ، ومرسيليا، وطنجة، فالدار

البيضاء حيث ستنتهي رحلة العودة البحرية، وقد استغرق السفر بين الاسكندرية وملطة أربعة أيام وبينها وتونس يومين لبطئ سير القارب، وليلتين بين تونس ومرسيليا، و5 ليال بينها وبين طنجة ويوما وليلة بين طنجة والدار البيضاء.

وكان السفر على البغال من الدارالبيضاء إلى الرباط، فمراكش ، واصويره، وتازروالت واكليميم. وبعد مقام عام وشهرين في اكليميم، توجه الولاتي وأسرته على الإبل عبر الطريق الشرقي من المحور الغربي إلى تيندوف التي استغرق السفر اليها10 أيام وأقام بها عاما وشهرا.

ومن تيندوف توجه إلى ولاته عبر أروان وتنبكتو دون إعطاء معلومات تمكن من تحديد المسافة التي قطعها بين كل منها.

وبذلك أنهى الولاتي رحلة شاقة ومكلفة لولا سمو مقاصدهاومالمسه أثناءها من مشاعر أخوية وروح تضامن وتآزر اجتماعيين.

2 - المعطيات الاقتصادية والاجتماعية :

يمكن اعتبار هذا العنصر من أقل العناصر حظا في الرحلة ولاسيما مايتعلق بالمعطيات الاقتصادية، سواء تعلق الأمر بالإعداد المادي للرحلة نفسها أو بالمعلومات عن الحياة الإقتصادية في المناطق المزارة.

فلم يحدثنا الكاتب بصفة ملموسة عن ما أعد من زاد لهذا السفر الطويل، واكتفى بالقول، أثناء وجوده الثاني في آغريجيت، بأنه انشغل عن اتمام قصيدته في مكفرات الذنوب "لاجل مهمات السفر"(37). ويقول محقق ديوانه (38) أنه قرر تأدية فريضة الحج بوقت قصير بعد عودته من وفادة (39) إلى احمد بن الحاج عمر الفوتي الذي أهداه" سلسلة ذهبية تزن 100 مثقال وكما من الملابس النفيسة والبضائع" كما اصطحب الولاتي معه أمتين في رحلة الذهاب الصحراوية لانستبعد أن يكون قد استعان بثمنهما في السوس على أعباء ماتبقى من الطريق وكلفها المادية المتعددة. وإذاكنا لانجزم بذلك، فإن تصريحه(40) بتركهما عند الحاج الحسين في إيفران وعدم مرور الولاتي به في طريق العودة ، حيث توجه من الصويره إلى إيليغ فاكليميم مباشرة - يحمل على الاعتقاد بذلك.

وسواء كان قد تزود للسفر أم لا، فإن اعتماده كان - على مايبدو - على إحسان وكرم ضيافة مروا به في مختلف محطات الرحلة تقريبا. ولذا حرص على رد الجميل لهم، فرأيناه في كل مرة ينوه بهم ويسهب في وصف أوجه إكبارهم له وإحسانهم إليه، بل وحتى في تحديد الوجبات المقدمه له - وخاصة في المنطقة الصحراوية - من لبن ولحم، وكسكس وعصيد، وقمح وشعير، وأرز، ودهن، وبوابل . وهوالب

... وشاي. ومن شأن التفصيل في هذا الجانب غير المألوف لدى الرحالة الشناقطة أن يساعد المؤرخ وعالم الاجتماع في دراسة نمط عيش سكان المنطقة آنذاك وعاداتهم الغذائية.

كماتناول الولاتي تكاليف النقل البري والبحري وقتها بين بعض المحطات، وأنواع العملات الموجودة في السوس وتيندوف وأزواد في نهاية القرن الماضي. فقد كانت كلفة نقله وابنه محمد الحسن بين طنجة وجدة25 ريالا حسنية، في حين كلفهما النقل بين مراكش والصويره عشرة اريالات، ونقل عشرة أحمال بين تازروالت واكليعيم 20 ريالا.

أما تنوع العملات فقد تناوله في أحد أجوبته عن الأسئلة التي وجهها إليه احمد يكن بن محمد المختار بن الأعمش الجكني في تيندوف، حيث أفرد فتوى مطولة حذفت - رغم أهميتها التاريخية- من النص المطبوع قال في بدايتها أنها تدور حول "الحكم الشرعي فيما جرى به العمل في المشرق والمغرب من التفاضل بين السكك في بيع الفضة بعضها ببعض تبعا للقانون الرومي الذي اصطلح عليه أجناس النصارى وأجروه في [بلاد] المسلمين..."(41). ولاتؤكد هذه الشهادة التغلغل البضاعي الاوربي في المناطق المذكورة فحسب بل الهيمنة النقدية الاوربية فيها كذلك.

وقد حدد في هذه الفتوى أنواع العملات الأجنبية والمحلية في كل من السوس وتيندوف، بينما أوضح بأن أزواد لاتوجد به سوى السكة الفرنسية، وجند معارفه وذاكرته القوية لدعم رأيه القائل بأن "التفاضل بين السكك(...) في المبادلات وفي قضاء الدين خرق لإجماع المسلمين ومخالفة للكتاب والسنة وتقليد لقانون النصارى..."(42). وأعطى بعض المعلومات عن قيم التبادل بين هذه العملات عند ماقال: "...فبان لك أيها الناظر أنما جرى به عمل الناس اليوم من إبدال الريال من سكة فرانصيص بريالين سوى ربع من سكة زابيل[؟] هو ربا الفضل المحرم إجماعا..."(43).

أما معلوماته عن الجانب الاجتماعي فأشد شحاحة ، وما تجدر الإشارة إليه فيها هو التوزع المجالي للقبائل الصحراوية في المنطقة التي شملتها الرحلة. فقد ذكر على سبيل المثال - تمركز أولادبله في آغريجيت ونواحيها، وتركبة سكان تشيت الأساسية(الشرفاء، أولاد هند بن مسلم)، وكثرة الأحياء البدوية بين آغريجيت وشنقيط، وانتشار قبائل الركيبات مابينها ووادنون ودرايتهم بمسالك تلك المنطقة، وهيمنة تكنه على منطقة وادنون بزعامة آل بيروك ، ووجود تجكانت بتيندوف.

ومما يسترعي الانتباه أن الولاتي لم يشعر بأية غربة اجتماعية أو ثقافية أثناء رحلته الطويلة في مختلف المناطق العربية المزارة ولاسيما في المناطق الحافة للصحراء التي قام في العديد منها مددا طويلة نسبيا وشارك أهلها منازلهم وأرزاقهم ووسائل اتصالهم وهمومهم المعرفية ومشاغلهم الفكرية.

3 ـ المعطيات الثقافية في الرحلة:

لقد شغل الجانب الثقافي الحيز الأكبر في رحلة الولاتي الحجازية حتى كاد يستحوذ عليها نظرا لنزعته المعرفية ومنزلته العلمية وسعة يده في الكتب وكثرة الإستشكالات التي وجهت إليه . وإذا كان المقام لايتسع للتفصيل في نشاطه الثقافي أثناء الرحلة، فإننا سنحاول إبراز أهم معالمه مركزين على ماقام به في منطقة المغرب أكثر من غيرها.

أ ـ الإفتاء: شغلت الفتاوي حيزا كبيرا من رحلة الولاتي نظرا لكثرة الأسئلة التي وجهت إليه أثناءها والتي أجاب عنها باستفاضة تنم عن سعة معارفه وطول نفسه في الكتابة بحيث كان العديد من تلك الإجابات قابلا لأن يكون كتابا مستقلا.

فقد أصدر الولاتي خلال الرحلة واحدا وثلاثين فتوى في مجالات متعددة كالفقه، والتصوف، وعلم الكلام، والأصول، واللغة والتفسير، وقد تصدر الفقه تلك القائمة باستحواذه على 13 فتوى، يليه التصوف (8 فتاوي)، فعلم الكلام (4 فتاوي)، وأصول الفقه واللغة والتفسير(فتوايان في كل منها). أما من حيث التوزيع الجغرافي فإن منطقة المغرب قد نالت الحظ الأوفر منها (24 فتوى) في حين أصدر فتوايين في مصر وأربعة في الحجاز.

فقد أفتى علماء تونس ببطلان إثبات رؤية الهلال بالتيلغراف، وبشأن حكم القيام عند تلاوة الورد، في حين تناولت فتاويه لأهل تيندوف حكم التفاضل بين سكك الفضة في المبادلات وقضاء الدين، وزواج العبد بأربع نسوة، وصدقة من أحاط الدين بماله، وتعريف علم الكلام وعلوم الفلسفة.

وتناولت فتاويه الـ 17 في المغرب الأقصى قضايا مثل صلاة الجمعة في مسجدي اكليميم القديم والجديد التي سبق وأن شغلت باله في مدينة ولاته، والتفسير، واللغة، وعلم الكلام والتصوف. وعلى هذا الصعيد الأخير طغت نزعة الولاتي الفقهية السنية على انتمائه الطرقي، فحمل بشدة على بعض الممارسات الصوفية التي يراها منافية للسنة(الذبح على قبور الصالحين والاستغاثة بهم، حقيقة اللوح المحفوظ وجواز رؤيته والأخذ منه عند بعض المتصوفة، الإكباب على جمع المال ودعوى الاطلاع على الغيب ولبس الخرق، والرقص والتغني في حضرات بعض المتصوفة..)(44). وهنا نجد قاسما مشتركا بينه وبين رحالة شنقيطي آخر هو الطالب احمد بن اطوير الجنة الذى استنجد به أهل بنغازى ضد بعض مبتدعتهم فتصدى لهم وكتب كتابه **"فيض المنان في الرد على مبتدعة هذا الزمان"**(45) الذى هاجم فيه الفرق المبتدعة التي اتخذت دينها لهوا ورقصا وادعت رؤية النبي صلى الله عليه وسلم وحضوره معها أثناء حفلات الذكر.

وقد أطلع الوداني السلطان مولاي عبد الرحمن على هذا الكتاب أثناء مروره بالمغرب في طريق العودة فوظفه في محاربة الزوايا البدعية - ولاسيما زاوية الشرادي بأحواز مراكش - وأمر بتدريسه يوميا بجامع القرويين رغم معارضة بعض متصوفة فاس له ولصاحبه وتربصهم به الدوائر.

ويجسد الرجلان نزعةسنية صارمة كانت سائدة على مستوى العلماء الشناقطة في القرنين 18و19، بمن فيهم المتصوفة، لأن التمذهب الطرقي لديهم نشأ في أحضان الفقه وكان دخول دائرة التصوف يتطلب معرفة مسبقة بالأحكام الشرعية(46).

ومن هنا كان انتشار الطرق الصوفية في الصحراء الشنقيطية على يد صفوة من العلماء وفروا لها المشروعية الدينية والاجتماعية. وهذا مايفسر في نظرنا تحامل فقيهنا التجاني الطريقة على ادعاء بعض المتصوفة رؤية اللوح المحفوظ والأخذ منه، والرقص والتغني في حضراتهم وغير ذلك من الممارسات التي ابتدعها مدعي التصوف الجاهلين بأحكام الشرع.

ولم يقتصر عطاء الولاتي على إصدار الفتاوي، بل مارس التدريس أثناء الرحلة في أكثر من مكان.

ب - التدريس: حرص صاحبنا على أن يفيد من معارفه الواسعة، فمارس التدريس في خمس من محطات توقفه هي " آغريجيت" و"بجاط" و "الرباط" و"المدينة المنورة" و" مراكش".

فقد أخذ عنه في آغريجيت مضيفه الفقيه مولاي محمد المهدي بن مولاي ابراهيم علم مصطلح الحديث وورقات إمام الحرمين في أصول الفقه وشرح الولاتي عليها.

أما في بجاط باقليم السوس ، فقد وجد الولاتي المدعو سيدى أعلى بن عبد الله "يدرس علم البيان والمعاني لبعض طلبته وهو لايجيدهما" فأصلح له الولاتي ما اختل عليه، ولم يجد البجاطي حرجا في ذلك بل أقبل إليه - على حد تعبير الولاتي - "بدرسه وصار يتعلم هو وطلبته منا علم المعاني، فتعلموا علينا منه ما أمكنهم تعلمه في تلك المدة{16 ليلة}"(47).

وتعكس هذه الحادثة تباين المستوى الثقافي للرجلين - بل ومنطقتيهما أنذاك - الذي سبق للسلطان مولاي عبد الرحمن أن عبر عنه بمرارة أثناء حديثه مع ابن اطوير الجنة في مطلع الأربعينات من القرن 19 (48).

وفي الرباط، درس الولاتي على مدى خمسة أشهر علم البيان والأصول والفقه لفقيهين من إخوانه في

الطريقة التجانية هما سيدى عبد الله التادلاوي وسيدى محمد آب الأمين، فأخذا عنه في الفقه كتابه المسمى "منبع الحق والتقوى" واستنسخاه وكتبا أخرى للمؤلف، وفي علم البيان "تلخيص المقريزي"، وفي الأصول "جمع الجوامع" للسبكي.

وبعد فقيه محاط وتلامذته وفقيهي الطريقة التجانية بالرباط، يأتي دور طلاب المدينة المنورة الذين أخذوا عن الفقيه الشنقيطي على مدى أربعة أشهر موطأ الإمام مالك و"عقود الجمان" للسيوطي وورقات إمام الحرمين.

ودرّس الولاتي في الإياب بمراكش شمائل الترمذي وشفاء عياض لعبد العزيز بن محمد بن عبد الرحمن (ابن عم السلطان) والفقيه احمد محمود بن سيدى صالح ، و" جماعة من أفاضل التجانيين"(49). ولم يشغل الإفتاء والتدريس الحاج الولاتي عن المناظرات العلمية ـ المولع بها أصلاء التي شكلت محورا من محاور نشاطه الثقافي خلال الرحلة.

ج ـ المناظرات العلمية: كانت أهم المناظرات التي أجراها الولاتي مع نظرائه في المشرق والمغرب مناظرته مع الفقيه محمد بن العربي الأدوزي (1833 ـ 1912) في إيليغ (50). فقد ورد على الولاتي أثناء إقامته بإيليغ عند سيدى محمد بن سيدى الحسين أو هاشم السملالي، سيدى محمد بن العربي الأدوزي وسأله عن مسائل أربعا تم عن فضول صاحبها المعرفي منها :

ـ هل لمن قلده العوام أن يجريهم على مشهور مذهبه أو أن يرخص لهم بماينا سب حالهم لأنهم لامذهب لهم؟
ـ هل تسمية محمد يحي مركبة تركيب مزج من علمين، ومامدي اطراد ذلك؟
ـ هل لمن أجاز شراب الخمر وجه شرعي؟

وقدأجاب الولاتي عن هذه الأسئلة بوضوح واقتضاب غير مألوفين لديه، وحدد في جوابه عن السؤال الأول نظرته للمفتين في عصره ومراتب العلماء فقال بأن "أهل الإفتاء في عصرنا هذا كلهم عوام في عرف الشرع لاحظ لهم من النظر في الأدلة الشرعية، فلا ترى فيهم مجتهدا في المذهب ولا في الترجيح، وإنما قصارى [هَم] أحدهم أن يكون حافظا لفروع المذهب أو جلها بالقوة فقط، أو يحفظ بعضها بالفعل وبعضها بالقوة، عالما بمطلقها ومقيدها وعامها وخاصها ومجملها ومبينها، وليه ملكة يقتدر بها على تطبيق الكليات على جزئياتها ، فينزل الفرع الكلي على صورة الواقعة الجزئية الخارجة بعد سبر أوصافها وتمييزه الطردي منها الذي لايثمر في الحكم من المعتبر وهو الذي يثمر في الحكم وجودا وعدما. فهذه المرتبة هي مرتبة العامي في اصطلاح العلماء، وهي أدنى مراتب العلماء، وصاحبها محجر عليه لايجوز له الإفتاء ولا القضاء الا بمشهور المذهب أو مابه العمل، ولايجوز له الإفتاء بالضعيف اتفاقا..."(51).

وما إن تلقى الأدوزي ردود الولاتي حتى استفسره من جديد عن :

- الأشيـاء التي عـرف النبي صلى اللـه عليـه وسلم بهـاأنه نبي بـ: أبعلم ؟ أو بحـس ؟ أوبوجدان؟
- كيف علم العاقل أنه عاقل؟ أبعقل آخر عرف عقله ؟ أم بغيره؟

ورغـم اقتنـاع الولاتي ، منذ البداية، بأن أسئلـة زميله السوسي أسئلـة "ثبـت" في ظاهرها و"تعنت" في باطنهـا وأن " ألسنة أهل العلم وأقلامهم مصونة عن السؤال عما لاطائل تحتـه "، فقد رد عليها الواحد تلو الآخر بهدوء ودونما مماحكة أو مواربة . غير أن ذلك لم يمنع الأدوزي من المضي في فضوله العلمي ويعطي دفعا جديدا للمناظرة ، فينهال" بصخرة العصر..." على مناظره ويعترض على جوابيه عن السؤالين الاخيرين أحد عشر اعتراضا.

ويأتي دور الولاتي ذي المزاج الحاد والنفـس الطـويل في الحوار والمنـاظرة،فيكتب ردا طويلا على تلك الأعتراضات تحدد مقدمته التالية نبرته ومنهجه:

" فلما وصل هذان الجوابان إلى محمد بن العربي الأدوزي اعترض عليهمـا أحد عشر اعتراضا كلها باطل لا أصـل لـه ، وإنما هي تخبط ورمي في عمـاية وضـرب في حديد بارد وتكلم فيمـا لاعلم لـه بمـدلولاته، فـأجبت عـن اعتراضـاته كلها تتبعتها كلمـة كلمـة بالنقض والإبطال بالأدلـة الشـرعية النقلية التفصيلية والأدلة الكلية الإجمالية والقواعد الشرعية القطعية لا بالأدلة العقلية ولا بالأدلـة العادية ولا بالكشوفات ولا بالمرائي والخوارق ولابالإلهامات"(52).

وإذا كـانت نبرة هذه المناظرة قد حدت في النهـاية، فإن الوضع سيكون مغـايرا بالنسبة لنقاشات الولاتي مـع العلمـاء الآخرين الـذين التقـى بهـم في باقي مـراكز الإشعـاع الثقـافي بالمغـرب وتونس ومصـر.

د - الاتصال بالمراكز العلمية ورجال الفكـر واقتناء الكتب: لقد وظف الولاتي إلى حد كبير رحلتـه في الاتصـال بمراكز الاشعاع الثقافي بالمناطق المزارة والتعرف على صفوة علمـائها ومحاورتهم وتبادل الاشعار والمؤلفات والتقاريظ معهم وتلقي الهدايا الجزيلة كتبا ومالا.

فقد زار المراكز العلمية والتقـى ب 28 مـن العلماء حددهم بأسمائهم في كل من القـاهرة والأسكندرية واستفاد منهم وأفادهم وزودوه بثلاثين من أمهات الكتب في شتى المعارف العـربية الإسلامية ، فضلا عن ما اقتناه عن طريق الشراء.

ولقي صاحبنا عناية خاصة من لدن علماء وقضاة وفقهاء تونس الذين التقى بمايربو على الثلاثين منهم واتحفوه بوافر الكتب النفيسة ومدوه ماليا.

وصرح بلقاء 9 من فقهاء وقضاة المغرب الأقصى في ذهابه وإيابه وماكان له معهم من مذاكرات علمية وتبادل للشعر ولاسيما سيدى عبد الله التادلاوي الذي قرض معه الشعر، وأبو العباس الإيليغي الذي مدح صاحبنا بقصيدة،والفقيه مولاي احمد البلغيثي قاضي الصويره الذي تذاكر معه وأهداه كتابين أحدهما من تأليفه.

ولاشك أن الحظوة الكبيرة التي نالها لدى السلطان عبد العزيز ووزيره الفقيه احمد بن موسى وقواده المختلفين وما ناله من جم عطائهم جميعا قدمكنه من اقتناء مزيد من الكتب حتى اصطحب معه إلى الصحراء ثلاثة أحمال من الكتب وسبعة من البضائع المختلفة التي اقتناها من الصويره. غير أن اكثر صلات الرجل في المغرب كانت مع زوايا الطريقة التجانية.

ه ـ التواصل الطرقي: تعتبر الطرق الصوفية عاملا حيويا من عوامل التواصل الثقافي بوجه عام، وفي منطقة شمال غربي افريقيا بوجه خاص.

وتعتبر رحلة الولاتي وماتخللها من حرارة اللقاء مع الزوايا التجانية في المغرب وما هيجت تلك اللقآت من عواطف شعرية، مظهرا آخر من مظاهر التواصل الثقافي بين طرفي الصحراء.

فقد كانت الزوايا التجانية في الرباط وتونس ومراكش والصويره الوجهة التلقائية للولاتي وهو يحل بتلك المدن، ومركز إقامته الطبيعي حيث وجد في استقباله إخوانا فرحوا بقدمه وتنازعوا ضيافته وتباروا في إكرامه وأقبلوا على الإستفادة من معارفه وإفادته ضمن عملية أخذ وعطاء أثمرت روحيا وثقافيا. فتحاور الطرفان وتقارضا الشعر مديحا ومدحا حيث حفز الحوار مع التادلي ـ مثلا ـ الولاتي على نظم ثلاث مديحيات في الرباط وهو مايزال في طريقه إلى المدينة المنورة ، وحملته حرارة الإستقبال الذي لقيه في زاوية سيدى ابراهيم الرياحي بتونس على نظم قطعة شعرية يمدح فيها تلك الزاوية وشيخه احمد التجاني.

وبهذا التواصل الروحي ساهمت رحلة الولاتي في توطيد الصلات الثقافية بين ضفتي الصحراء. ولم تكن تلك النشاطات الثقافية التي مارسها الرجل طوال رحلته لتشغله عن التأليف ونظم الشعر مادامت بعض أحداثها تدعوه إلى ذلك.

و ـ التاليف: مارس الولاتي التأليف نظما ونثرا خلال رحلته. فإذا تركنا جانبا فتاويه ومديحياته الكثيرة.

نجده قد ألف أحد عشر تأليفا كاد النظم والنثر يتوزعانها بالتساوي. فقد نظم نظمه المعروف ب:"تحفة الاصطفا في طهارة المصطفى" ، وأنساب النبي صلى الله عليه وسلم وأنساب شرفاء تشيت، ومكفرات الذنوب، وآداب زيارة الروضة الشريفة وأهل البقيع وأهل أحد، ونظم الأجرومية.

أما على الصعيد النثري، فقد شرح أرجوزته في أسماء النبي، ومنظومتي "تحفة الاصطفا" و" مكفرات الذنوب" وتأليفا في الأذكار، وشرح نظم الأجرومية.

وقد شكلت هذه التآليف، نثرية كانت أو نظمية، رافدا من روافد التواصل الثقافي حيث بثها صاحبنا في الأوساط المزارة إهداء أومذاكرة أواستنساخا أو غيرها من سبل النشر آنذاك.

* * *

ونلاحظ مما تقدم أن عطاء صاحبنا الثقافي كان عطاء كبيرا ومتعدد الأوجه، وأنه رد بعض الجميل إلى أصحابه في وقت كانوا بحاجة إليه. فإذا كان الشناقطة مدينين فيما مضى لإخوانهم في الطرف الآخر من الصحراء ثقافيا في مجال المقررات الدراسية والأسانيد العلمية والصوفية، فقد أصبح لهم، منذ نهاية القرن16،" اكتفاؤهم الذاتي" على الصعيد المعرفي، فنبغوا في المعارف العربية- الإسلامية وأصبحوا يسعفون من حين لآخر المشرق والمغرب العربيين ببعض معارفهم ولاسيما أثناء رحلاتهم إلى الحج التي كانت فرص التواصل الثقافي الأساسية حينئذ.

وإذا تركنا جانبا ما اضطلع به احمد بابه بن محمد اقيت التينبكتي(ت 1627) من دور علمي بالمغرب الأقصى في ملتقى القرنين 16و17 , وماقام به بعض حجاج القرن 18 (53), فإن وجوها علمية شنقيطية من حجاج القرن 19 م قد كان لها عطاء معرفي كبير في مختلف المناطق العربية التي حلت بها. وقد أعطت بوجه خاص دفعا مهما للتواصل الثقافي بين طرفي الصحراء في وقت تعطلت فيه - أوكادت - المبادلات التجارية بين المنطقتين.

ونكتفي هنا بالإيماء إلى الدور الذي اضطلع به - على هذا الصعيد - علماء بارزون من أمثال ابن اطوير الجنة(ت 1848),والشيخ ماى العينين (ت 1910), ومحمد محمود بن التلامد (54), واحمد بن الأمين الشنقيطي (ت 1913)... ومحمد يحي الولاتي نفسه الذي رافقناه خلال هذا العرض في رحلته المعطاء.

غير أنه من حق القارئ أن يتساءل بعد هذه الرحلة الطويلة مع الولاتي عن ما استفاده منها، خاصه وأن مستويات القراءة متعددة وهموم أصحابها متباينة. فالقارئ التاريخي سيخرج بفكرة أساسه مفادها أن استمرار التواصل الثقافي عبر الصحراء وازدهاره غير مرتبطين بالضرورة بمستوى التبادل المادي. فقد

عرف التواصل الثقافي في القرنين الماضيين ، ولاسيما في القرن 19 وبداية القرن العشرين ، نموا كبيرا - كما وكيفا - لم يعرفه في الفترات السابقة للتقلص الكبير في حجم ونوعية التبادل المادي عبر الصحراء.

ويشكل الشعور العفوي بالترابط الروحي والثقافي لدى سكان المنطقة في الوقت الحاضر واستمرار وتنوع شبكات التواصل على هذين الصعيدين - رغم تردي مستوى التبادل الاقتصادي فيما بينهم - مصداقا لفرضيتنا.

غير أنه لاينبغي إصدار حكم قيمي كهذا انطلاقا من قراءة سريعة لأثر واحد من الآثار التاريخية التي تفص بها المنطقة من قبل متطفل على الموضوع. فإصدار حكم نهائي بهذا الشأن يتطلب دراسة متأنية ومتعددة الأبعاد تتضافر فيها جهود ذوي الإختصاص على حافتي الصحراء وتنطلق من قراءة وإعادة قراءة مختلف المصادر الأولية للموضوع بروح علمية تنأى بأصحابها عن شطط التأويلات الإيديولوجية المغرضة والإسقاطات التاريخية المتسرعة؛ وعسانا أن نجد إلى ذلك سبيلا...

الهوامش :

1 ـ نيقولا زيادة : "سكان الصحراء الكبرى والسودان الغربي من ابن حوقل إلى ابن بطوطة" الفكر العربي" : العدد51 ، السنة التاسعة ،يونيو1988 .ص: 50.

2 ـ كان بودنا أن نتناول الموضوع من خلال رحلتي الطالب أحمد بن أطويز الجنه الودغني بين حرب مابين 1829 ـ 1834 ومحمد يحي الولاتي الذي قام برحلته مابين 1893 ـ 1900 حتى يكون إلتقائهما على غير أن إشعارنا المتأخر بالملتقى وتزامنه مع فترة التهيئة للبدء النهائية للجامعة ، وعذرنا رغم مابذلنا من جهود ـ عن الحصول، في الوقت المناسب، على نسخة من رحلة الولاتي قد حالت دون ذلك.

3 ـ نسبة إلى أولاد داود بن اعروك بن اودي بن حسان، الذين هم إحدى المجموعات العربية التي وفدت إلى الأراضي الموريتانية الحالية في القرن 14 وانتشرت بها المطاف إلى الاستقرار في منطقة الحوض في ملتقى القرنين 16و17 الميلاديين.

4 ـ ولاته : تأسست سنة 1224م على انقاض غانه كمحطة تجارية متقدمة في التجارة مع بلاد السودان على الطريق الغربي من المحور الاوسط المار بتغازة فتوات. وذاع صيتها التجاري(فالثقافي) في تلك الفترة إذ نجد أول ذكر لها من خلال النشاط التجاري لأبناء المقري الذين استقر اثنان منهم بها(عبد الواحد وعلي) في حين تمركز ابوبكر ومحمد بتلمسان وعبد الرحمن بسجلماسة(نفح الطيب ،ج5/205 ـ206). وزارها ابن بطوطة أثناء رحلته وأقام بها قرابة خمسين يوما ووصف أهلها ومناحي الحياة فيها. غير أن طريق ولاته سرعان ماتدهور لصالح تمبكتو كما يشيد لذلك السعدي في كتابه " تاريخ السودان" ولاسيما ص: 20 ـ 21.

5 ـ الساس بن ابو : جمع وتحقيق الإنتاج الشعري للعلامة محمد يحي الولاتي ـ م.ع.أ/ نواكشوط 86/ ص: 11.

6 ـ ابن بطوطة : تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الأسفار ـ طبعة دار الكتاب اللبناني ، د.ت/ ص: 411.

7 ـ نفس المصدر ص: 450.

8 ـ نفس المصدر ص: 442.

9 ـ نفس المصدر ص: 442 ـ 443.

10 ـ عبد الرحمن بن خلدون: كتاب العبر ... دار الكتاب اللبناني 1967, ج6 ص: 118.

11 - Mohammed El-Chennafi : "Sur les traces : d'Awdagust : Les Tagdawost et leur ancienne cite" in Tegdaoust !, Arts etMetiers Graphiques, Paris 1970 PP 106-107

12 ـ الولاتي : فتوى بشأن بطلان صلاة الجمعة في مسجد ولاته (مخطوط).

13 ـ الساس... مرجع سبق ذكره ص: 12.

14 ـ " " " " ص: 13.

15 ـ نفس المرجع ونفس الصفحة.

16 ـ كانوا يتمثلون بقول القائل:

علمي معي أينما يممت أحمله ... في باطن الصدر لا في جوف صندوق

إن كنت في البيت كان العلم فيه معي ... أوكنت في السوق كان العلم في السوق

17 ـ يقول محمد عبد الله بن احمذيه (ت 1391 هـ): "ثلاثة لا يعجز الرجل عنها، الطهارة المائية، وحفظ النص من قراءة واحدة، وقول الحق في محله". الديوان م::12.

18 ـ يستفاد ذلك من بيتي ابنه محمد الحسن المنقوشين على ضريحه:

هذا ضريح من به علم الشريعة انتشر

الف في حياته ... امالة سفر وعشـــر

19 ـ السايح: مرجع سبق ذكره، م::13.

20 ـ أهل المعيميد: بيت الرئاسة في مشظوف الحوض، وكان جدهم المعيميد بن المختار وابنه المختار قد حاولا جمع كلمة مشظوف وتخليصها من التبعية لايدوعيش في النصف الاول من القرن 19. وقد تمكن محمد محمود بن المختار بن المعيميد من التخلص من هيمنة ايدوعيش والدخول في صراعات مع أولاد امبارك عند ما انتقل مجال مشظوف الجغرافي من تكانت إلى الحوض، وبزوال سلطة أولاد أمبارك من الحوض، سيطر عليه مشظوف سياسيا وعسكريا ولاسيما في الفترة مابين 1852 ـ 1884 قبل أن يصيبهم ما أصاب خصومهم السابقين من انقسامات وصراعات سياسية.

21 ـ السايح: م ـ س، 14.

22 ـ الولاتي: فتوى بشأن بطلان صلاة الجمعة في مسجد ولاته (مخطوط).

23 ـ يستفاد من "حوليات ولاته" وفتوى محمد يحي السالفة الذكر والرواية الشفهية المحلية بأن الفترة كانت فترة جفاف ماحق أودى بحياة الكثير من سكان المدينة وهجرة البعض الاخر واندلاع حروب قبلية وفوضى سياسية وأمنية وماينجز عن ذلك كله من سلب ونهب.

24 ـ ألف الشناقطة الرحلات إلى الحج قديما ونالت بعض حواضرهم الصحراوية شهرتها الحديثة كمثابة ومركز تجمع سنوي لقوافل الحجيج حيث يذكر سيدي عبد الله بن الحاج ابراهيم في 1205هـ//1797م أن ركب الحج كان ينطلق سنويا من شنقيط" فيتعلق به كل من أراد الحج من سائر الافاق وقد تحج الدار منهم كلها حتى لا يبقى فيها صغير ولا كبير من شدة اعتنائهم بالحج ويحجون من قدروا عليه" ثم يضيف قائلا: " وكان الركب يمشي من شنقيط إلى مكة كل عام ويحج معهم من أراد الحج من سائر الافاق حتى أن أهل هذه البلاد أعني من الساقية الحمراء إلى السودان إلى أروان يعرفون عند أهل المشرق إلى الآن بالشناقطة" (صحيحة النقل...). ومع ذلك فإننا لانجد تدوينا لتلك الرحلات قبل القرن 19 بل إن قلة من العلماء الذين حجوا في هذا القرن هم الذين دونوا رحلاتهم بدء برحلة الطالب أحمد بن اطوير الجنة والتجاني بن بابه في النصف الاول من ذلك القرن، مرورا برحلة الشيخ ماء العينين (58 ـ 1859) والبشير بن امباركي (88 ـ 1889) ومحمد فال بن بابه (88 ـ 1889) وانتهاء بالولاتي.

25 ـ إحدى القبائل الحسانية القاطنة بمنطقة الحوض الشرقي، المنحدرة من بّله بن احمد بن داود بن احمد بن عثمان بن مغفر بن أودي بن حسان.

26 ـ الرحلة الحجازية: م ـ س ص::11.

27 ـ قام البشير بن امباركي بالشئ نفسه في رحلته الحجازية التي قام بها سنة 1888ـ 1889م، وحققت بالمدرسة العليا للاساتذة في نواكشوط سنة 1982.

28 ـ لقد كانت ملاحظات الرجلين أدق وأشمل من ملاحظات صاحبنا. فابن اطوير الجنة قد وصف ـ فيما وصف ـ أحوال بلاده الإقتصادية (الفلاة، الاتاوات...) والسياسية لملك المغرب، وحاول أن يعلل له أسباب الركود العلمي في المغرب آنذاك، ووصف المظاهر العمرانية لبعض المدن الجزارة (تيوت ـ

الصويره ...)، ومظاهر الاحتفالات الدينية بالمغرب، والخصوصية اللغوية لدى المجموعات الشلحية في منطقة السوس.

أما ابن بابه فقد أستوقت أنتباهه وسائل النقل الجديدة (الباخرة- القطار) وضرورة استخدامها رغم تحكم " النصارى فيها"، والظاهرة الاستعمارية في السينغال والجزائر ومصر، وتردي الأوضاع العامة في مصر وفي الحجاز خاصة.

29 ـ السايح : م.س. ص: 24.

30 ـ الولاتي: الرحلة ص:87.

31 ـ يقصد المؤلف هنا المغرب الأقصى لأن تسمية "المغرب" هي التسمية التي كانت شائعة أكثر من غيرها لدى الشناقطة. ثم إنه يعبر ضمنيا عن انتباهه بلاده بخروجه من وادنون وساكنيه الذين يعتبرهم جزءا من وطنه الضيق(" اتراب البيطان") ذي الخصائص اللغوية والسمات الحضارية المتميزة.

32 -Paul Pascon : La Maison d'Iligh et l'histoire sociale de Tazerwalt - SMER, Rabat 1983, p69

33 ـ أقام على سبيل المثال 8 أشهر بتشيت ، وشهرين في شنقيط، وثلاثة أشهر في اكليميم، وشهرين في ايليغ.

34 ـ الولاتي: الرحلة الحجازية ، م.س. ص: 77.

35 ـ كان المؤلف يحدد بالإسم وسيلة تنقله، أما في هذه المرة فقد عمم عند ما قال:"... أكري لنا دواب لقوم من حاحا"، وهذا ما يوحي بأنها دون مستوى سابقتها خاصة بالنظر إلى طول مدة السفر بين إيليغ والصويره.

36 ـ الرحلة الحجازية : ص: 269.

37 ـ الرحلة ص:77

38 ـ السايح: م.س، ص:25.

39 ـ سافر محمد يحي ضمن وفد من الوجهاء بعثه أهل ولاته إلى هذا الأمير لفك حصار كان قد فرضه على بيع الزرع لهم بسبب موالاتهم لكنته الذين كان في حرب معهم، وسبب ذلك الحصار أضرارا لأهل ولاته الذين كانوا يعانون من جفاف ماحق.

40 ـ الرحلة ، ص:103.

41 ـ43)ـ الولاتي : فتوى حول التفاضل بين سكك الفضة...(مخطوط).

44 ـ راجع الرحلة من ص:325 ـ 352.

45 ـ ابن اطوير الجنة : الرحلة (مخطوط).

46 ـ يتجلى ذلك من خلال استنكار بعض العلماء الشناقطة في النصف الثاني من القرن الماضي لتقديم بعض الناس النورد على التعلم كما في قول محمد بن حنبل الحسني (ت:1302هـ//1885):

يا خالفين بحور العلم مسألة ... عنها أجيبوا بأفهام زكـــــيات
عن اشتغال شباب العصر جلـهم ... عن العلوم بأوراد ســـــــيات
أهذه منّة في الدين نشكرهـا ... أم هي في ديننا إحدى المصيبات؟

(الديوان : ص.90)

47 ـ الولاتي: الرحلة ص: 103.

48 ـ ابن اطوير الجنة: "رحلة المنى والمنة" صفحة 10 من مخطوطة المعهد الموريتاني للبحث العلمي رقم: 2722.

49 ـ الولاتي: الرحلة ص: 352.

50 ـ عالم سوسي من أسرة عالمة له مؤلفات عدة ، منها "صخرة العصر على بعض أهل العصر" الذي رد به على محمد يحي الولاتي ـ أنظر الرحلة ص: 104. الهامش 3.

51 ـ الولاتي : الرحلة ص: 105 ـ 106.

52 ـ الرحلة ص: 114.

53 ـ من أمثال الحاج الحسن بن آغبدي الزبيدي (ت 1123هـ//1711م) الذي استدرك أربعين مسألة على الغرشي في شرحه لمختصر خليل، ومحمد المجيدري بن حبيب الله (ت 1204هـ//1788م) الذي كان مرتضى الزبيدي وأحمد بن إدريس الفاسي وحمدون بن الحاج ممن أخذوا عنه، ومحمد عبد الله بن الفاضل (ت 1209هـ//1794م) الذي تولى القضاء" بالقاهرة عدة سنوات"، وسيدي عبد الله بن الحاج ابراهيم (ت 1233ه//1818م) الذي " اخذ عن البناني وأخذ البناني عنه"...على حد قول الخليل النحوي (المنارة والرباط ...ص: 274).

54 - لازم ابن التلاميد ((1816-1904) اجدود بن اكتوشنى العلوي وتخرج عليه، و أخذ عن ابن الأعمش الجكني في تيندوف أثناء رحيله إلى المشرق بعض علوم الحديث.

و قد لعب ابن التلاميد دورا كبيرا في التواصل الثقافي بين المشرق والمغرب الإسلاميين في ملتقى القرنين التاسع عشر والعشرين و ذاع صيته كثيرا ولاسيما في المشرق. و إذا كانت ثقافة الرجل الموسوعية و ما كان له من مناظرات علمية و جدل مع علماء المشرق وما يروى عنه من حدة طبع، قد تكون المسؤولة - إلى حد كبير - عن الشهرة التي نالها ؛ فإن خبرته الكبيرة في مجالات اللغة و الانساب و الحديث قد بوأته مكانة علمية مرموقة في تلك الأصقاع و بهرت معاصريه.

فقد وصفه الزركلي في "الاعلام" (ج. 7/ 89)بأنه : <<علامة عصره في اللغة و الأدب>> و عزا النحوي ((270/1986) لمحمد رشيد رضا وصفه لابن التلاميد ب <<العلامة المحدث الذي انتهت إليه رئاسة علوم اللغة و الحديث في هذه الديار [المصرية] و لاسيما علم الرواية للحديث الشريف و لأشعار العرب المخضرمين>>. أما ابن الأمين الشنقيطي الذي كان علي خلاف كبير معه فقد قال بأنه <<انفرد في المشرق باللغة و الأنساب>> (الوسيط : 381).

ولعل تلك المواصفات هي التي جعلت صديقه محمد عبده ينتدبه لتدريس اللغة في الأزهر بعد إدخاله الدرس اللغوي في البرامج التعليمية لتلك المؤسسة الثقافية العتيدة. و يروى طه حسين في كتابه "الأيام" (ص. 343) انطباع كبار طلاب الأزهر عن ذلك العالم الشنقيطي فيقول :<<كان أولائك الطلاب الكبار يتحدثون بأنهم لم يروا قط ضريبا للشيخ الشنقيطي في حفظ اللغة و رواية الحديث سندا ومتنا عن ظهر قلب>>.

وقد كان لمحمد محمود الفضل في تصحيح العديد من أمهات كتب التراث و لا سيما كتب اللغة و الأدب مثل "المخصص" لابن سيده و "القاموس المحيط" للفيروزابادي و كتاب "الأغاني" لأبي الفرج الأصبهاني. واعتمدت عليه دور النشر في مصر في إعدادها للنشر.

و بلغت شهرة ابن التلاميد العلمية حدا جعل السلطان العثماني عبد الحميد الثاني (1842-1918)

47 ـ الولاتي: الرحلة ص: 103.

48 ـ ابن اطوير الجنة: "رحلة المنى والمنة" صفحة 10 من مخطوطة المعهد الموريتاني للبحث العلمي رقم::2722.

49 ـ الولاتي : الرحلة ص::352.

50 ـ عالم سوسي من أسرة عالمة له مؤلفات عدة ، منها "صخرة الصدر على بعض أهل العصر" الذي رد به على محمد يحي الولاتي ـ أنظر الرحلة ص::106. الهامش 3.

51 ـ الولاتي : الرحلة ص::105 ـ 106.

52 ـ الرحلة ص: 114.

53 ـ من امثال الحاج الحسن بن آغبدي الزيدي (ت 1123ه//1711م) الذي استدرك أربعين مسألة على الخرشي في شرحه لمختصر خليل، ومحمد المجيدري بن حبيب الله (ت 1204ه//1788م) الذي كان مرتضى الزبيدي وأحمد بن إدريس الفاسي وحمدون بن الحاج ممن أخذوا عنه، ومحمد عبد الله بن القاضل(ت 1209ه//1794م) الذي تولى القضاء" بالقاهرة عدة سنوات"، وسيدي عبد الله بن الحاج ابراهيم (ت 1233ه//1818م) الذي " اخذ عن البناني وأخذ البناني عنه"...على حد قول الخليل النحوي (المنارة والرباط 54 - لازم ابن التلاميد ((1816-1904) اجدود بن اكتوشني العلوي وتخرج عليه، و أخذ عن ابن الأعمش الجكني في تيندوف أثناء رحيله إلى المشرق بعض علوم الحديث.

و قد لعب ابن التلاميد دورا كبيرا في التواصل الثقافي بين المشرق والمغرب الإسلاميين في ملتقى القرنين التاسع عشر والعشرين و ذاع صيته كثيرا ولاسيما في المشرق. و إذا كانت ثقافة الرجل الموسوعية و ما كان له من مناظرات علمية و جدل مع علماء المشرق وما يروى عنهم من حدة طبع، قد تكون المسؤولة - إلى حد كبير - عن الشهرة التي نالها ؛ فإن خبرته الكبيرة في مجالات اللغة و الأنساب و الحديث قد بوأته مكانة علمية مرموقة في تلك الأصقاع و بهرت معاصريه.

فقد وصفه الزركلي في "الأعلام" (ج..7/ 89)بأنه : ((علامة عصره في اللغة و الأدب)) و عزا النحوي ((270/1986) لمحمد رشيد رضا وصفه لابن التلاميد ب ((العلامة المحدث الذي انتهت إليه رئاسة علوم اللغة و الحديث في هذه الديار [المصرية] و لاسيما علم الرواية للحديث الشريف و لأشعار العرب المخضرمين)). أما ابن الأمين الشنقيطي الذي كان علي خلاف كبير معه فقد قال بأنه ((انفرد في المشرق باللغة و الأنساب)) (الوسيط ::381).

ولعل تلك المواصفات هي التي جعلت صديقه محمد عبده ينتدبه لتدريس اللغة في الأزهر بعد إدخاله الدرس اللغوي في البرامج التعليمية لتلك المؤسسة الثقافية العتيدة، و يروى طه حسين في كتابه "الأيام" (ص..343) انطباع كبار طلاب الأزهر عن ذلك العالم الشنقيطي فيقول :((كان أولائك الطلاب الكبار يتحدثون بأنهم لم يروا قط ضريبا للشيخ الشنقيطي في حفظ اللغة و رواية الحديث سندا ومتنا عن ظهر قلب)).

وقد كان لمحمد محمود الفضل في تصحيح العديد من أمهات كتب التراث و لا سيما كتب اللغة و الأدب مثل "المخصص" لابن سيده و "القاموس المحيط" للفيروزابادي و كتاب "الأغاني" لأبي الفرج الأصبهاني... واعتمدت عليه دورالنشر في مصر في إعدادها للنشر.

و بلغت شهرة ابن التلاميد العلمية حدا جعل السلطان العثماني عبد الحميد الثاني (1842-1918) يختاره لرئاسة بعثة علمية الى الأندلس بحثا عن نوادر الكتب العربية، و جعل أوسكار منك السويدو

يختاره لرئاسة بعثة علمية الى الاندلس بحثا عن نوادر الكتب العربية، و جعل "وكذا منه السفير البرويج يحرص على ان يكون هذا الشنقيطي ضمن وفد أبناء العرب الذين طلب من السلطان المغربي إرسالهم إليه لاستفسارهم "عن أشياء في القرآن، و عن أشعار العرب".

و إن الدور الذي اضطلع به هذا الرجل في التواصل الثقافي بين جنوب الصحراء و شمالها لجدير بأن تتوفر له دراسة مستقلة.

اهم المصادر والمراجع :

I • بالعربية:

1 ـ ابن بطوط (محمد بن عبد الله): تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار ـ دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، د.ت .

2 ـ ابن الحاج ابراهيم (سيدي عبد الله): ضيعة النقل في علوية إبدوعلي وتبكرية محمد علي (مخطوط شخصي).

3 ـ ابن أحمذيه (محمد عبد الله): الديوان ـ جمع وتحقيق محمد عبد الله بن حمدي ـ المغرب، المعلمية للاساتذة ، نواكشوط 1985.

4 ـ ابن حنبل (محمد) الديوان ـ تحقيق أحمد بن بيات ـ م.ع.أ. 1983.

5 ـ ابن خلدون (عبد الرحمن): كتاب العبر وديوان المبتدإ والخبر.. دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1968/ ج6 .

6 ـ البشير بن امبارك : الرحلة الحجازية ـ تحقيق محمد امبارك م.ع.أ. نواكشوط 1982.

7 ـ الزركلي (خير الدين): الاعلام ـ دار العلم للملايين ـ بيروت 1979 .

8 ـ زمامه (عبد القادر): "الرحلة المغربية صلة علم وحضارة"ـ مجلة كلية الاداب والعلوم الإنسانية بفاس ، عدد8 /1986.

9 ـ الساي بن ابو : جمع وتحقيق الإنتاج الشعري للعلامة محمد يحي الولاتي ـ م.ع.أ. نواكشوط / 1986.

10 ـ السعدي (عبد الرحمن): تاريخ السودان ـ نشر هوداس وبنوه، ط2 MAISONNEUVE باريس 1981

11 ـ طه حسين: الاعمال الكاملة ـ الجزء الاول: الايام ـ دار الكتاب اللبناني ، بيروت 1980.

12 ـ مجهول : حوليات ولاته (مخطوط)

13 ـ محمد فال بن بابه : الرحلة ـ تحقيق محمد فال بن شماد ، م.ع.أ. نواكشوط 1982.

14 ـ المقري (أحمد بن محمد): نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ـ دار صادر ، بيروت 1968/ ج5 .

15 ـ النحوي (الخليل): المنارة والرباط ، عزم للحياة العلمية والإشعاع الثقافي والجهاد السلمي من خلال الجامعات البدوية المتنقلة (المحاظر) ـ تونس ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، 1987.

16 ـ نيقولا زيادة : "سكان الصحراء الكبرى والسودان الغربي من ابن حوقل إلى ابن بطوطة" الفكر العربي ، العدد 51 ، السنة9 يونيو1988 ، ص.ص: 49 ـ69.

17 ـ الولاتي (محمد يحي) :

ـ الرحلة الحجازية ، تخريج وتعليق محمد حجي ، دار الغرب الإسلامي ببيروت و معهد الدراسات الإفريقية بالرباط 1990.

ـ فتوى بشأن بطلان الجمعة في ولاته (مخطوط).

ـ فتوى حول " الحكم الشرعي فيما جرى به العمل في المشرق والمغرب من الفاضل بين السكك في بيع الفضة بعضها ببعض تبعا للقانون الرومي الذي أصطلح عليه أجناس النصارى . "، وهي إحدى فتاوى الرحلة الحجازية التي حذفت من النسخة المطبوعة وتوجد بحوزة حفيد المؤلف السيد ابه بن سيدي محمد بنواكشوط

II ـ بالفرنسية:

Mohammed El-Chennafi : "Sur les traces : d'Audagust :Les Tagdawest et leur ancienne cite" in Tegdaoust I, Arts et Metiers Graphiques, Paris : 1970 PP 106-107

Paul Pascon : La Maison d'Iligh et l'histoire sociale de. Tazerwalt - SMER, Rabat 1983, p69